رسميًا، فأئمة الفقه والتفسير والسنة والأدب واللغة كانوا يحيون بين الجماهير، وجلُّهم جَفَتْه الدولة أو آذته، ومن اقترب من الحكام، فقد غامر بدينه، إلا من عصم الله . . .

إن الانفصال كان طبيعيا بين العلم والحكم ؛ لأن أغلب الحكام قذفت بهم الوراثة ـ حتى ولو كانوا من غير مؤهلات ـ ولم يقل أحد إن الله جعل العبقريات فى ذرية معينة . . .

ومع أن هذا الانفصال مصيبة فادحة ، إلا أن المصيبة الأفدح كانت الانفصال بين الفقه والتربية، أو بين علوم الشريعة والتصوف .

إن الإنسان الكامل يقوم بقلبه وعقله جميعًا، فالذكاء مع خبث الطويَّة شرٌّ، وسلامة الصدر مع الجهالة والغفلة شر، والثقافات الصحيحة المتكاملة هى التى تصقل اللب والقلب معًا . .

وقد أشرنا فى مكان آخر إلى أن بيئة التصوف لما حُرِمَتْ الفقه امتلأت بالأوهام والترهات، وأفسدت الأمة ! وأن بيئة الفقه لما حُرمت صدقَ العلاقة بالله، وقوة الثقة فيه، غلبت عليها الصنعةُ، وطلبُ الدنيا، والحرمان من التوفيق الأعلى . . .

وقد جثمت الخلافة العباسية على صدر الأمة دهرًا . . تأخرت فيه حينًا ، وجمدت حينا، ولم تتقدم بعيدًا وراء الحدود التى بلغها الأمويون! ولم تنهض برسالة الإسلام فى الدعوة الشاملة والتشريق والتغريب . . بل إن فوضاها الضاربة أغرت الأعداء بالغارة عليها، فكانت الحروب الصليبية الأولى ، وكانت الهزائم الهائلة التى نالت منا وجرّأت علينا الأعداء حتى اليوم . .

أما الدولة الفاطمية فكانت دولة شرّ كامل وليس لها نصيب من الخير إلا فى أقل القليل . . ! !

الخلافة العثمانية :

وقبل الحديث عن الخلافة العثمانية لابد من تمهيد كاشف . .

إن الرحمن الذى خلق الإنسان، وعلمه البيان، لم يجعل أسلوب هذا البيان